يكشف به عمّا في آيات الكتاب المعجز من أسرار بلاغية ودقائق معنوية ، وأتى في ذلك بما لم يُسبَق إليه .

كان الزمخشري يعتقد أن تفسير القرآن أمرٌ لا يُدرك إلا عن طريق علمي المعاني والبيان، وأنه ما من فقيهٍ ، ولا متكلمٍ ، ولا لغوي ولا نحويّ ، ولا حافظ أو واعظ ، أيّاً كان مبلغه من علمه ، يستطيع أن يتصدّى لتفسير القرآن ما لم يبرع في علمين مختصّين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وهكذا أقام تفسيره على أساسٍ من هذين العلمين، فتفرّد بهذه الميزة من بين المفسّرين . قال صاحب الطراز في معرض حديثه عن (الكشاف) : « لم أعلم تفسيراً مؤسّساً على علمي المعاني والبيان سواه »[1] .

وكأن الزمخشري كان يشير إلى الفصل بين علمي المعاني والبيان ، فيسمّي كلاً منهما علماً ، كما كان يستعمل لفظ كلٍ منهما علَماً على المباحث المتصلة به ، وعلى هديه سار العلماء من بعده ، فاستعملوا هاتين الكلمتين (المعاني) و (البيان) علَمين على العِلْمين البلاغيين المعروفين بعد أن كان السابقون يستعملون (البلاغة) و (الفصاحة) و (البيان)

---

(١) الطراز : ٥ . وانظر ماسبق في ص ٤٨ و ٤٩